



إذا ابتلي المسلم في بدنه أو أهله أو ماله، فإن عليه أن يسير وفق المنهج الإسلامي الصحيح لمواجهة مثل هذه الحالة وتلخيص خطوات هذا المنهج في النقاط الآتية:

#### 1- اليقين والرضا:

الخطوة الأولى: على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هناك حياة أخرى هي خير من هذه الحياة، قال تعالى: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى:17]، وقال سبحانه: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَقِينَ} [النحل:30]، ويعني اعتقاد هذا أن تلك المحنـة مهما طالت فهي إلى زوال، لأن الدنيا نفسها زائلة، وهي لا تدعو أن تكون دار امتحان وابتلاء.

ومن هذا المنظور للحياة يتكون لدى الشخص المبتلى حواجز للرقي والسمو فوق المحنـة، فيجاهد نفسه، ويقول عند المصيبة {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} لأن المصائب لا تدعو أن تكون سلباً للنعم التي سبق أن أنعم الله بها عليه، أو حرماناً من النعم التي أنعم الله بمثلها على عباده، فإذا ابتلى الله المؤمن فاسترد منه نعمة كان قد وضعتها بين يديه ليتليه بها، فإن المؤمن يتذكر بسرعة أن الله هو مالك كل شيء، ويتذكر أيضاً أنه هو نفسه مملوك لله، وأن جميع الخلائق مملوكون له سبحانه وأنهم عباده، وأنهم جميعاً راجعون إليه، فإذا رجع الملك إلى مالكه فعلام الحزن؟ وعلام الأسى؟ ولم الاعتراض؟ ولماذا التسخط؟ فحينما يتذكر المؤمن هذه الحقائق يعلن عبارة الإيمان التي تدلّ عليها فيقول: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}. هذه العقيدة الإيمانية رحمة من الله تملأ القلوب طمأنينة وتسليمًا، ورضي عن الله عز وجل فيما جرت به مقايره؛ فما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

#### 2- الصبر والاحتساب:

تتمثل الخطوة الثانية في الصبر على آثار الابتلاء أو بالأحرى الحالات الناجمة عنه من الملل والقلق والاضطراب والوسوس، في الصبر الجميل والاحتساب تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أمره ربه بالصبر على الأذى أسوة بأولي العزم من الرّسل، قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف:35]. فهذا الصبر يجعله في معية الله تعالى، مصداقاً لقوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:153]، كما يجعله من أهل محبته، فهو سبحانه القائل: {وَاللَّهُ يُحِبُّ

**الصَّابِرِينَ** [آل عمران:146]، وأن يتيقن أن مع العسر يسراً وأن مع الكرب فرجاً وأن الله سبحانه هو الذي يكشف ضره، ولنعلم أن جزاء الصبر هو الفوز برضوان الله تعالى والفوز بالجنة، كما قال تعالى: **{إِنَّمَا جَزِيلُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** [المؤمنون:111].

### 3- محاسبة النفس تعقبها التوبة والاستغفار:

الخطوة الثالثة: على المسلم إذا ابتلي بالضراء أن يتأمل حياته الحالية والماضية وينظر أيضاً في نواياه المستقبلية، وأن يعلم أن ما أصابه من حسنة فمن الله تعالى وما أصابه من سيئة فمن نفسه، كما قال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء:79]، فإن وجد ذنوبًا -وما أكثرها- فليبادر إلى محاسبة نفسه، وأن يتلمس عيوبه، لأن جهله بها من أكبر ذنبه، والفاجر لا يحاسب نفسه، أما المؤمن فذو نفس لوامة، تلوم على الشر، لم فعلته؛ وتلوم على الخير، لم لا تستكثر منه؛ ويترتب على ذلك اللجوء الفوري إلى التوبة النصوح، والتظاهر من الذنوب، والإكثار من الاستغفار.

#### 4- الاستقامة والتقوي:

الخطوة الرابعة: التزام الاستقامة والتقوى. أما الاستقامة فلأنها أقوى سبب للرقي الإيماني، وما انتشرت في قوم إلا صلح حالهم وزاد إقبالهم على الخير، والمستقيمون هم الذين وعدهم الله عز وجل بإذابة الحزن وإبعاد الخوف عنهم في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [الأحقاف:13].

أما التقوى فهي من مفاتيح السعادة لأنها تجعل المؤمن في معية الله تعالى وتجلب رحمته ورزقه، كما أنها مفتاح للخروج من الأزمات ومجلبة للرزق.

## 5- الدعاء والتضرع والتوكل على الله:

الخطوة الخامسة: التوجّه بالدّعاء إلى الله عزّ وجلّ والتّضرّع إليه والاستغاثة به لأنّ يكشف ما به من سوءٍ، وأنّ يرزّقه العافية، وذلك كما حدث من نبي الله أّيوب عليه السّلام ويستحب أن يتّوسل إلى الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبعد الدّعاء، تأتي الاستغاثة بالله تعالى والتّوكل عليه. وبعد التّوكل واعتقاد الفرج فلا بد من الأخذ بالأسباب التي تساعده في الخروج من أزمة الابتلاء.

## 6- التهئ النفسي لما بعد الابتلاء:

الخطوة السادسة: إذا لم يجد المبتلى ذنبا في الحال -وهذا نادر- فليعلم أن هذا الابتلاء تمحيص له، وتدريب على تحمل المشاق التي تؤدي في النهاية إلى ابتلاء من نوع آخر هو الابتلاء بالسراء أو التمكين في الأرض، وذلك هو حال أولي العزم من الرسل ومن أتبعهم من صالح المؤمنين، ومما يقرب هذه المسألة إلى الأذهان أننا نجد تقوية الجسم إنما تكون بممارسة الرياضات التي تستلزم مجهودا شاقا، فكذلك تنمية القوة النفسية تستلزم التدريب على تحمل المشاق والابتلاءات، وكذلك قطف ثمار الزرع لا يتم إلا بعد بذل مجهود الحرث والزرع والسقاية.

## 7- السكينة والطمأنينة:

الخطوة السابعة: إذا تاب المسلم واستغفر ربها، وأقلع عن معصيتها، ودعا الله بصالح أعمالها، وتوكل على الله، وأخذ بالأسباب ولم ينكشف ما به، فعليه أن يعلم ويتيقن أن ذلك لحكمة اقتضتها المولى عز وجل لا يعرفها الآن، وكفاه في ذلك أن يعد في معية الله تعالى وأنه من أهل محبته، ومن أظهر الأدلة على ذلك قصة الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام بأمر من ربها عز وجل كي يقي والديه من الطغيان والكفر ولا شك أن الابتلاء بفقد الولد أخف كثيراً من الابتلاء بالكفر والطغيان. ومن هنا تتجلى حكم التوكل والاحتساب والاستغارة في أمور العبد، فإن العبد قاصر عن إدراك ما ينفعه في دينه ودنياه ولذلك

شرعت الاستخارة وتفويض الأمر إلى الله.

-----  
(من كتاب: نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم)

المصادر: